اللبن

أ. عبدالرحمن مصلح المزروعي

عندما تميل الشمس نحو المغيب مؤذنةً بالرحيل ويحل الظلام بعد يوم حافل قضيناه في اللعب والمناوشات البريئة.

فيسدل الستار في قريتي الصغيرة المزدحمة بالدور المتقاربة أجساداً وأرواحاً وبأفنيتها الواسعة حباً ووفاءً ..

هناك تناديني أمي وتضع بين يدي قدحاً من اللبن وتشد على يدي الصغيرتين وتقول: اذهب بهذا إلى جارتنا ، فانطلق ملتمساً بقايا النهار أحث الخطى قبل أن يداهمني الليل بظلامه فأضعه عند متاع جارتنا وأعود مسرعاً لإخوتي ابحث عن نصيبي من اللبن قبل أن يختفي ثم تقيد الحالة ضد مجهول ! وأبيت طاوياً خاوياً.

وعلى مقاعد الدراسة روى لنا المعلم قصة أخرى للبن ، هي قصة (بائعة اللبن وابنتها) .. أم أنهكها الفقر وأضناها نصب الليالي والأيام .. وابنةٌ على الفطرة .. استهوتنا القصة وتشربنا منها محبة الصدق وجمال الأمانة.

وبين جمال العلاقات الحميمية التي تربط بين الجيران في تلك الأيام الجميلة وبين القيم النبيلة التي تضئ ماضينا المجيد اندثرت صفحات من الوفاء وغابت جملة من القيم الأصيلة .

كم هي تلك الانجازات الوهمية والوقائع المؤلمة التي نعيشها صباح مساء يمزج فيها اللبن بالماء حتى لم يبق للبن أثر .. بل غدا سراباً يحسبه الضمآن ماءً

عندما تتربى أجيالنا على قيم الأمانة وتصبح سلوكاً نمارسه في شتى شؤون حياتنا عندها سنشرب اللبن خالصاً سائغاً للشاربين.

عبدالرحمن مصلح المزروعي